

ولاية الأمر دراسة فقهية مقارنة

الظَّالِمَةَ تَأْمَنُونَ، كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَ كُمْ بِالْهُيِّ
وَالْتَّيَّاهِي وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ، وَأَنْتُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ مُصِيبَةً لِمَا
غُلِبْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَنَازِلِ الْعُلَمَاءِ لَوْ كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ. ذَلِكَ بَأَنِّ
مَجَارِي الْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ عَلَى أَيْدِي الْعُلَمَاءِ بِالْإِ، الْأُمْنَاءِ عَلَى حَلَالِهِ
وَحَرَامِهِ، فَأَنْتُمْ الْمَسْلُوبُونَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ، وَمَا سُلِبْتُمْ ذَلِكَ إِلَّا
بِتَغَرُّقِكُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَاخْتِلَافِكُمْ فِي السُّنَّةِ بِعَدَدِ الْبَيِّنَاتِ
الْوَاضِحَةِ، وَلَوْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَذَى، وَتَحَمَّلْتُمْ الْمَوْؤُونَةَ فِي ذَاتِ الْإِ،
كَانَتْ أُمُورُ الْإِ عَلَيْكُمْ تَرْدُ، وَعَنْدَكُمْ تَصَدُّرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ،
وَلَكِنَّكُمْ مَكَّنْتُمْ الظَّالِمَةَ مِنْ مَنَزِلَتِكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ الْإِ فِي
أَيْدِيهِمْ، يَعْْمَلُونَ بِالشَّيْئَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، سَلَّطَهُمْ عَلَى ذَلِكَ
فِرَارُكُمْ مِنَ الْإِ، وَإِعْجَابُكُمْ بِالْحَيَاةِ الَّتِي هِيَ مُفَارِقَتُكُمْ،
فَأَسْلَمْتُمْ الضُّعْفَاءَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَمِنْ بَيْنِ مُسْتَعْبِدِ مَقْهُورٍ، وَبَيْنِ
مُسْتَضْعَفٍ عَلَى مَعِيشَتِهِ مَغْلُوبٍ، يَتَقَلَّبُونَ فِي الْمُلْكِ بَأْرَائِهِمْ،
وَيَسْتَشْعِرُونَ الْخِزْيَ بِأَهْوَائِهِمْ، ارْتِدَاءً بِالْأَشْرَارِ، وَجُرْأَةً عَلَى
الْجَبَّارِ، فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مِنْبَرِهِ خَطِيبٌ مُصَفَّعٌ، وَالْأَرْضُ لَهُمْ
شَاغِرَةٌ، وَأَيْدِيهِمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَالنَّاسُ لَهُمْ خَوْلٌ لَا يَدْفَعُونَ يَدَ
لَامِسٍ، فَمِنْ بَيْنِ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَذِي سَطْوَةٍ عَلَى الضُّعْفَةِ شَدِيدٍ، مُطَاعٍ لَا
يَعْرِفُ الْمُبْدِيَةَ وَالْمُعِيدَ. فَيَا عَجَبًا، وَمَالِي لَا أَعْجَبُ وَالْأَرْضُ مِنْ
غَاشٍ غَشُومٍ وَمُتَمَدِّقٍ طَلُومٍ، وَعَامِلٍ عَلَى الْإِ وَمُنِينٍ بِهِمْ غَيْرٍ رَحِيمٍ،
فَالْإِ الْحَاكِمُ فِيمَا تَنَازَعْنَا، وَالْقَاضِي بِحُكْمِهِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَنَا.
اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّه لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنْ تَنَافُسٍ فِي سُلْطَانٍ، وَلَا
الْتِمَاسٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرَى الْعَمَلِ مِنْ دِينِكَ،
وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، وَيَأْمَنَ الْمَطْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَيُعْمَلَ
بِفَرَائِضِكَ وَسُنَّتِكَ وَأَحْكَامِكَ، فَإِنَّكُمْ إِلَّا تَنْصُرُونَا وَتَنْصِفُونَا قَوِي
الظَّالِمَةَ عَلَيْهِمْ، وَعَمِلُوا فِي إِطْفَاءِ نُورِ نَبِيِّكُمْ، وَحَسْبُنَا
وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْهِ أُنَبِّئْنَا، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» [458].